

المحاضرة ٢
لندق طعام حلاوة ضيافة الله
علي رضا بناهيان



پناهان
Panahian.net

كتاب «مدينة الله؛ شهر رمضان وأسرار الصيام» - باللغة الفارسية - لسماحة الشيخ بناهيان والذي قد نزلت إلى الأسواق الطبعة الثامنة منه، يشتمل على نقاط ورؤى جديدة وعملية للانتفاع الأكثر من شهر رمضان وقد كتب بلغة سهلة وبسيطة. فوددنا أن نستقبل أيام شهر رمضان ولياليه الجميلة بمقاطع ومقتطفات من هذا الكتاب. فإليكم القسم الثاني من هذه المقاطع

حلوات الدخول في شهر رمضان

تحدثنا في القسم السابق عن هواجس الدخول في شهر رمضان. أما الآن فنضع كل الهواجس والخواطر والمخاوف والحديث الكثير والمتشعب الذي يمكن ذكره في هذا المجال، على جانب، ونخوض في جانب آخر من مشاعر الدخول في ضيافة شهر رمضان. مضافا إلى مشاعر الشوق التي تنتاب الإنسان بطبيعة الحال عند حلول شهر رمضان المبارك والدخول في ضيافة الله الرحمن، لا يخلو حلول هذا الشهر من حلوة بيّنة جدًا. يبدو أن هذا الشهر الكريم يذيق الإنسان المعنوية وحلاوة العبادة تلقائيًا، وحرّيّ بالإنسان أن يقدرها كثيرًا. وفي سبيل تقدير هذه الفرصة، علينا أن نقوم بعمل بسيط جدًا؛ وهو أن نفرغ وقتنا ما لكي نتمتع بأكثر لذة منذ بداية شهر رمضان. علينا

أن نغطّ في هذا الحظّ المعنوي بقدر الإمكان، ونصنع أحلى الذكريات عبر انتهاز هذه الفرصة، وذلك من أجل أن ترجعنا هذه الذكريات إلى هذه الساعات المعنوية الأصيلة وتكون باباً للرجوع إلى الله بعد ذهاب هذه الفرصة. وأساساً أحد أسباب حلوة الأيام الأولى من شهر رمضان هو تجديد ذكرياتنا المعنوية والممتعة عن السنين السابقة، كصوت دعاء السحر أو صوت دعاء خاص عند الإفطار، فقد اعتبرنا بعض هذه الأمور كعلامات لا تنفك عن شهر رمضان ولذلك تعلقنا بها وبالتأكيد إن الحظّ المعنوي الذي تعطينا هذه التعلقات ليس بقليل.

١. كون شهر رمضان جديدا/ ضرورة انتهاز هذه الطاقة المبدئية في سبيل الوصول إلى مقام الأنس

أحد الأسباب البسيطة لهذه الحلوة هو كونه جديدا، فبعد ذاته يبعث في الإنسان نشاطا وحيوية. وهو ليس كصلواتنا اليومية التي أصبحنا نملها وصارت عادية بسبب تكرارها. صحيح أن الاكتفاء بهذا السبب لا يكفي، فليس من الصحيح أن نحبّ شهر رمضان ونغتبط بإدراكه بمجرد طراوته واشتياقنا إليه وما جاء به من أجواء جديدة، ولكنّه ليس بشيء سيئ. فلا بدّ أن نقدّر الحدّ الأدنى من الإيجابيات التي فينا لكي لا نُحرم من الدرجات الأقصى. إن «دوام الأنس مع الله» على الكثير من أمثالنا الذين لا نمتلك المعرفة الكافية ولم نقلع عن تعلقات الدنيا

أمر عسير. ولكن ساعات تجديد العهد والصلح بعد الفراق هي لحظات حلوة وممتعة كما هو الحال في لحظات التعارف الممتعة. فلا بدّ من انتهاز فترة طراوة شهر رمضان الأولى كرأس مال، لا للمستقبل البعيد، بل للأيام الوسطى من شهر رمضان حيث تخفت هذه الطراوة. ينبغي أن ينتفع الإنسان بشهر رمضان أفضل انتفاع وذلك عبر إعداد برنامج عبادي خاص في أوقات هذا الشهر واستغلال الطاقة الأولى في الأيام الأولى منه. فبهذا الأسلوب كما يعيش الإنسان ساعات جديدة وممتعة في الأيام الأولى من شهر رمضان، ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة الأنس بهذا الشهر فهي تنطوي على حلوة من نمط آخر.

برد وجفاف الأجواء الخارجة عن دفى رحمة الله ومحبتة. فكأننا في خارج شهر رمضان نعتاد على ظروف الحياة بدون الله وعلى الغفلة عنه، أو على الأقل لا نشعر بمدى ضرورة التقرب الشديد إلى الله. ولكن ما إن ندخل في هذا الشهر الكريم، نشعر كم أننا كنا بحاجة ماسة إلى هذه المحبة.

وبالتأكيد إن الحلاوة التي يذوقها الإنسان على أثر الأنس بشهر رمضان أعمق وأحلى بكثير من حلاوة الأيام الأولى. ولكن في سبيل دوام هذه الحلاوة المبدئية وإيصالها إلى مرحلة الأنس، لابد في وسط الطريق من تحمل بعض المعاناة ومقاومة حالة الإدبار.

٢. الشعور بالحاجة إلى التقرب

السبب الآخر في حلاوة الدخول في شهر رمضان هو الشعور بالحاجة إلى التقرب، والتي لا تدرك إلا بعد أن اقترب الإنسان شيئاً قليلاً. ففي ذلك الحين يدرك الإنسان كم أن فراق الله مرّ. فها هي حرارة محبة الله ورحمته التي يتحسّسها الإنسان بكل سهولة في طليعة الشهر لما يعاني منه من أوج برد الغفلة عنه. فعند ذلك يعي الإنسان مدى

كالطفل المشغول باللعب، حينما يرى أمه فجأة

نحن كالطفل الحرك الذي وإن كان قد انشغل باللعب والمرح بعيداً عن حضن أمه، وما إن وقعت عينه على أمه، يتذكر عطشه إلى حنانها،

أنجزت أشهر رمضان القادمة بشكل جيّد لا تعوّض عن نواقص شهر رمضان الحاضر. فلعلّ علامة وسمة مستقلّة. الخوف من عدم إنجاز شهر رمضان بالمستوى المطلوب هو شيء متعارف لدى هؤلاء.

٢. أن يكون مستوى أوج ارتفاعنا واطئنا

ثم إذا كان شهر رمضان أوج صلاحنا وحسننا، وعادة ما لن نحصل على حالة أفضل مما كنا نعيشها في شهر رمضان، وبطبيعة الحال كل درجة سوف نحصل عليها في شهر رمضان، سنحصل على أقلّ منها في غيره من الشهور، فهذه الحقيقة مما تبعث خوفا في نفوس أولي الهمم العالية خشية من أن يكون مستوى أوج تحليقهم وأوج إنسانيّتهم واطئنا مما يبابه بعد النظر وعلوّ الهمّة.

فعند ذلك من الواضح أن سنكون مضطّرين ومحتاجين، وإن لم نشعر بذلك نحن. وإن كنّا من أهل ذلك، فمن المؤكّد أن قد أصبحنا من المحبين إلى مناجاة الله واكتساب عنايته بحيث نصبح متعطّشين إلى نيل المزيد من اللطاف الله ورحمته. فإذا سمحوا أن نستعرض عبر عبارات واضحة هواجسنا وعواملها:

هواجس الدخول

١. نقصان ما ننجزه من عمل

أولا يودّ الصالحون من الناس أن ينجزوا جميع أفعالهم بشكل جيّد. فإذا أنجزوا فعلا ما لا يحبون أن يكون ناقصا ومليئا بالعيوب. ورمضان كل سنة عبارة عن فعل وأثر نتركه في عالم الوجود، ونحن سوف نواجه هذا الإنجاز يوم القيامة. وحتى إن

فيسرع باكيا إلى حضنها، ولكن بعد أن اطمأن قليلا في دفئ حنان أمه، سرعان ما يلتفت إلى حوله باحثا عن شيء جديد يلعب به، فيغادر حضن أمه الحنون إلى الملاعب التي لا قيمة لها، وقد نسي أنه كان قد فرّ منها باكيا إلى أمه قبل لحظات. مع هذا الفارق وهو أن الطفل يحتاج في مراحل نمائه إلى اللعب. والغفلة عن الأم نعمة لها لتستريح قليلا وتقوم ببعض شؤونها، ولكننا نستطيع أن نفهم هذه الحقيقة حتى لو كنّا في أوج البلاهة وهي أننا بحاجة إلى محبة الله في كل لحظة، فلا ينبغي أن يكون كل حظنا من ذوق محبة الله محدودا بمجلس ضيافة رمضان، فليست أي غفلة عن حنان الله بنافعة لنا. وأي لعب يفصلنا عنه فهو لعب خطر ومدمر ولا بدّ من أخذ مضارّه على مأخذ الجدّ.

ترى بعض الناس - وللأسف - لا يستأنسون بلقاء أقربائهم وأصدقائهم القدامى إلا بعد فراق طويل. وعلى العكس، أصحاب القلوب السليمة يحنّون إلى أصدقائهم بسرعة. وكذلك ترى بعض الناس لا يرغبون في التصالح إلا بعد مضيّ فترة مديدة من الزعل. بينما قلوب أولياء الله الرقيقة لا تطيق البعد والهجران ويحنّون إلى الحديث مع الله خمس مرّات على الأقلّ يوميًا، فكأنهم لا يقدرّون على أي خطوة ما لم يتحدّثوا مع الله مليًا.

ألا يسأم أولياء الله من صحبتهم مع الله؟

طيب، فلأسألكم سؤالاً؛ ما هو شعور هؤلاء بحلول شهر رمضان والدخول في شهر الله؟ هل لأنهم مع الله دائماً، فتصبح ضيافة شهر رمضان تكرارية لهم؟ وهل أن طراوة شهر رمضان هي خاصة بالغرباء أو النائين عن جوار الله؟ أ وهل أنكم تزعمون مثل بعض العوام أنه إذا كنا مع الله دائماً، فسوف نضجر منه؟ وهل أنكم تتساءلون كالجافلين أن ما هي نزهة أولياء الله الذين قضاوا حياتهم كلها معه وأين التنويع في حياتهم؟! إنه لخطأ شائع وتصور باطل وقد تورط به الكثير من الناس، فهم يزعمون أن أولياء الله إنما تحمّلوا الثبات مع الله، لأنهم نفذوا أيديهم من التنزّه وأنواع اللذات والمسرات التي يحتاجها الإنسان بطبيعته، أو لأنهم فارقوا الدنيا

وطلّقوها. والأجر الذي سينالونه يوم القيامة إنما بسبب العذاب الذي تجرّعوه في بقائهم مع الله. فإن أمثال هؤلاء العديمي الخبرة في الدين يزعمون أن معرفة الله لا تزيد عن إدراكهم البدوي عن الله والمؤمنون إنما يعكفون في المساجد ويكرّرون نفس هذه المفاهيم البدائية بلا أن يحظوا بأي إدراك وشعور جديد عن الله. لقد قال الإمام الصادق (ع) في حديث عميق وعرفاني: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَتَّعَ اللَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا. وَكَانَتْ دُنْيَاهُمْ أَقَلَّ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَطْبُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ وَ لَنَعْمُوا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ وَ تَلَذُّوا بِهَا تَلَذُّدًا مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَانِ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْسٌ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ وَ
صَاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ وَ نُورٌ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ وَ قُوَّةٌ
مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ وَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ» [الكافي/ج١/ص
٢٤٧/ كتاب الروضة، ح ٣٤٧]

٣. عيد أولياء الله؛ فرصة لتلبية احتياجاتهم

حقيقة الأمر هي أن من بين جميع الناس إنما
الأولياء المتصلون بالله هم الذين يعيشون ضيافة
عامرة في قلوبهم طوال أيام السنة في غير رمضان،
وهم ضيوف الرحمان في الخلوة، ولا يذوق طعم
الحضور في مجلس الضيافة أحد سواهم. وأساسا قد
أقيم مجلس الضيافة لهؤلاء، وأمّا باقي الناس فهم
على هامش المجلس. إن السبب الرئيس هو أن تلبي

احتياجات هؤلاء الأولياء، ثم ينتعم أهل العالم جميعا
من فضائل هذه المائدة الزاخرة بالفيض. إن تضاعف
أجر أعمال شهر رمضان في الواقع من أجل ملء الوعاء
المعنوي الواسع جدًا الذي يحظى به هؤلاء النيرون
العظام. فكان رقة قلبهم دفعت دعوات الجميع إلى
مواطن الاستجابة في شهر رمضان. ولأنّ أجنحتهم
أوسع من نطاق هذه الدنيا الضيقة، ولا يتسنّى
لهم الطيران والتحليق في الظروف العادية، فتحت
لهم أبواب السماوات في هذا الشهر. ولذلك سمّي
شهر رمضان عيد أولياء الله كما جاء في دعاء الإمام
زين العابدين(ع): «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرَ
وَ يَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ» [الصحيفة السجادية/ الدعاء ٤٥]

دخول ضيوف الرحمن الخواصّ في مدينة الله

إن ضيوف الرحمن الخواصّ يبدأون هذا الشهر منذ اليوم الأول بحرارة مضاعفة ويدخلون مدينة الله بشوق وحماس أعلى. فهم يعرفون المدينة تماما، ويعلمون إلى أي أزقة يتجهون وفي أي بيوت يسكنون. فلا ينظرون إلى هنا وهناك مستطلعين، ولم يكن شوقهم وحماسهم ناجما من كون المناظر جديدةً تجلب الأنظار. يفتحون أجنحتهم وكأنهم يريدون أن يحتضنوا المدينة برمتها ويقبلوا طلعتها البيضاء كوجه القمر. وفي نفس الوقت إذا رأيتهم، ستري غبرة حزنهم من غروب آخر يوم من شهر رمضان، بينة في دموع شوقهم:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَ مَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ قَوْتِهِ» [المصدر نفسه]. فإنهم لا يغفلون عن مغادرة شهر رمضان اغترارا بالأيام الباقية من، فهم من اليوم الأول كمن يعيش آخر لحظات هذا الشهر وقد عقد أمله بالله وحده في أن لا يخرج من هذا الشهر خائبا. فأملهم منذ اليوم الأول في ربّ اليوم الأخير ولم يباهوا بطاقتهم وقابليّتهم في العبادة.